

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

النبي : (لعلَّ أحدكم أن يكون ألحنَ بحجته . . .) أي أفطن لها وأغوص عليها وذلك أن أصل اللحن أن تريد شيئاً فتورِّي عنه بقول آخر كقول العنبري وقد كان أسيراً في بكر بن وائل حين سألهم رسولاً إلى قومه فقالوا له : لا تُرسل إلاَّ بحضرتنا لأنهم كانوا قد أزمعوا غَزَوْ قومهم فخافوا أن يُنذَرهم فجاء بعد أسود فقال (له : أتعلُّ قال : نعم إني لعاقل : ما أراك كذلك فقال : بلى فقال : ما هذا - وأشار بيده إلى الليل - فقال : هذا الليل . قال : ما أراك عاقلاً .

ثم ملأ كفَّيه من الرمل فقال : كم هذا . فقال : لا أدري وإنه لكثير قال : أيما أكثر النجوم أم التراب قال : كلُّ كثير .

قال) : أبلغ قومي التَّحِيَةَ وقل لهم : ليُكْرَموا فلاناً - يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر فإن قومه لي مكرمون وقل لهم : إنَّ العرَّ فَج قد أدبى وقد شكَّت النساء وأمرهم أن يُعْرُوا ناقتي الحمراء فقد أطلوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلتُ معكم دَيْساً واسألوا الحارث عن خَبري .

فلما ادبى العبدُ الرسالة قالوا : لقد جُنَّ الأعور واللاه ما نعرف له ناقةً حمراء ولا جملاً أصهب ثم سرَّ حوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : قد أنذركم ما قوله : أدبى العرَّ فَج : يريد أن الرجال قد استلَّموا ولبسوا السلاح وقوله : شكَّت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر وقوله : الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدَّهْناء واركبوا الصَّمَّان وهو الجمل الأصهب وقوله : أكلت معكم دَيْساً يريد أخلاطاً من الناس قد غَزَوْ وكملأن الحَيْس يجمع التمر والسمن والأَقَط .

فامتثلوا ما قال وعرفوا لَحْن كلامه واخذاً هذا المعنى أيضاً رجل كان أسيراً في بني تميم فكتب إلى قومه شعراً : - من البسيط - .

(دُلُّوا عن الناقة الحمراء أُرْدُلْكم ... والبازل الأصهب المعقول فاصطَنَعُوا)